المقتطف

الجزء الثامن من السنة الثالثة والعشرين

١ اغسطس (آب) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٤ ربيع الاول سنة ١٣١٧

مدام كلمنس رويه

Madame Clémance Augustine Royer,

قلَّ ما كُتب عن نساء المشرق في كتب المشارقة حتى لقد تصفح الاسفار الكبيرة فلا تجد فيها غير اعمال الرجال واتوالهم كأن النساء هجرن هذه الديار او انفصلن عن مصاف البشر. الاَّ ان ذلك لا يتمشَّى على نساء المغرب في اوربا واميركا لانهنَّ شاركن الرجال في كثير من المطالب ولاسيما في التأليف والتصنيف وطلبن العلوم مثلهم وبرعن فيها ولا بعد ان نراهنَّ في القرن المقبل يناظرن الرجال في كل عمل ومطلب بل ان النساء اللواتي ناظرنهم في هذا القرن لسن قليلات وقد بلغ بعضهنَّ الدرجة العليا في العلم والفلسفة كما ترى في سيرة هذه السيدة

ولدت بفرنسا سنة ١٨٣٠ من عائلة كاثوليكية قديمة ودرست في مدرسة القلب المقدَّس ومالت الى نظم الشعر ثم تركته ومضت الى انكلترا ودرست اللغة الانكليزية وبرعت فيها وانتقلت منها الى سويسرا واكبَّت هنالك على درس العلوم الطبيعية والفلسفة والاقتصاد السياسي وجعلت تلقي الخطب على النساء في علم المنطق ونشرت خطبتها الاولى وهي مقدمة لعلم الفلسفة فقرأها العلماء ورأوا فيها من البلاغة وحسن البيان ما احلَّها المقام الاعلى في عيونهم

وسنة ١٨٦٠ عرض بعض اهالي سويسرا جائزة لمن يشيء احسن رسالة في كيفية وضع الضرائب وتقاضيها فالَّفت رسالة في هذا الموضوع استحقت الجائزة هي ورسالة القيها برودن الفيلسوف الاشتراكي

ثم عكفت على ترجمة كتاب داروِن المعروف باصل الانواع الى اللغة الفرنسوية وكتبت

له مقدمة مسهبة لخّصت فيها مذهب الشيوء احسن تلخيص ووصفت كتابات داروين أبدع وصف قرأناهُ لكاتب قالت "ان الحجارة الكبيرة الضخمة توضع في اساس البناء وعليها اعتمادهُ ولو لم تكن مزخرفة مثل الحجارة المنقوشة التي تقام بها جدرانهُ فهي مثل الحقائق العلمية التي تبنى عليها العلوم ولقد كان من امر داروين انهُ قطع هذه الحجارة بهمة لا تعرف الملل وعرضها على قرائهِ كما هي من غير برقشة فاذا وجد امرًا محققًا قال انهُ محقق واذا وجدهُ مرجحًا قال انهُ مرجح واذا وجدهُ محتملاً قال انهُ محتمل واذا وجدهُ مشكوكًا فيهِ قال انهُ مشكوك فيهِ ولم يبرقش الحقائق" وقالت في مذهب داروين انهُ غاية ما يتوق اليهِ عقل العقلاء وبهِ تكشف اسرار المخلوقات الحية كما كُشفت اسرار المواد غير الحية بواسطة علم الفلك والجيولوجيا والطبيعيات. وبحثهُ عن العلل الثانوية للكون الآلي مثل بحث علماء الفلك والجيولوجيا عن العلل الثانوية التي فعلت بالكرة الارضية

وكان لهذه المقدمة شأن كبير في نوادي العلم الفرنسوية لانها جاهرت فيها بما كان العلماء يخافون المجاهرة بهِ حينئذٍ بل لم يكن جمهور الفرنسويين يعرف شيئًا عن داروين ومؤلفاتهِ غير ما يسمعونهُ من افواهُ خصومهِ ويقرأونهُ في كتبهم وجرائدهم وهو انهُ كافر كبير او شيطان تجسم في جسم انسان كما كان يسمع عنهُ منذ ثلاثين عامًا. وكأنها ازاحت الستار عن عيونهم فاقبلوا على قراءة مقدمتها ايَّ اقبال ولذلك رأت ان تتوسع فيها وتجعلها كتابًا كبيرًا فالفت هذا الكتاب ونشرتهُ وسمتهُ اصل الانسان والحيوانات وهو افضل مؤلفاتها وقد وصفهُ المسيو جاك بويه في جريدة العلم العام الاميركية فقال انها شرحت في القسم الاول منهُ اصل الحياة وتغير الاحياء على الارض تبعًا لناموس الوراثة وناموس التغير وقالت ان الموجودات الآلية كلها تحت سلطة هذين الناموسين المتضادين وقد اثرًا فيها فنوَّعاها وشكَّلاها فصارت على ما تراها. وكأنَّ كل فرد منها نتيجة حسابية نتجت من فعل الوراثة والتغير على ضروب شتى مدى الدهور الطويلة. والوراثة بمثابة الرجوع الى الاصل او بمثابة كمية ثابتة في عملية جبرية والتغير بمثابة عامل مجهول متغير والحيُّ نتيجة بينهما. وشرحت ذلك شرحًا مسهبًا فلم تكتفِ بالاحكام المجرَّدة والظنون الوهمية بل جرت مجرى داروين نفسهِ في ذكر الاسباب والمسببات والاعتماد على المحسوسات والمشاهدات والالتجاء الى قياس التمثيل في البحث عن غابر الازمان

وقد ذهبت الى ان الاحياء الاولى لم تكن محصورة في بقعة واحدة من الارض بل ظهرت في اماكن عديدة في وقت واحد لما انخفضت حرارة الارض وتكاثف بخار الماء فصار بحارًا. ثم تتبعت الدرجات التي سارت فيها الاحياء في ارتقائها المستمر الى ان بلغت نوع الانسان وبينت

ان مبادئ العقل في الانسان لا تمتاز عنها في غيره من انواع الحيوان الا في الدرجة

وذكرت تاريخ ارتقاء الانسان في سلم الحضارة ووصفت فروعه المختلفة والمشابهة بينه وبين القرود في البناء التشريحي . وانتقلت الى البحث في مزايا نوع الانسان وقالت ان اللغة الاولى التي استعملها للتعبير عن حاجاته كانت لغة الاشارة ثم استعمل الاصوات المختلفة مقلداً بها الطبيعة فسمى الحيوانات باصواتها ولم يكن في لغته اكثر من مئة كلمة ولكنها كفته الوفاً من السنين الى ان كثرت تصوراته وحاجاته فدل عليها باصوات اخرى . واقامت الادلة العلمية على ان ذلك كان بعد تفرق الناس على وجه البسيطة لا قبل تفرقهم

وبحثت في القسم الثالث من كتابها عن تاريخ الاجتماع الانساني من حين كان الانسان يعيش بالصيد والقنص فقط الى ان بلغ ما بلغه من الارتقاء في الصنائع والاعمال واطلاق الحرية لكل فرد من افراد نوعه يستعمل قواه كلها كيفما شاء فيكون ارتقاء النوع كله مجموع ارتقاء كل فرد من افراده

ولها رسائل كثيرة في هذه المواضيع نُشرت في اشهر المجلات العلمية ولم تقتصر عليها بل عادت منذ سنين قليلة الى البحث في المسائل الاجتماعية والاقتصادية فشاركت المسيو ليون ساي في قاموسه الجديد في علم الاقتصاد السياسي . وابلغ مقالة كتبتها فيه عن الفلسفة اليقينية (الوضعية) بيّنت فيها ان واضعها ليس اغسطس كونت كما يذهب جمهور الكتّاب بل اللورد باكون الفيلسوف الانكليزي وقد نقلها كونت عنه بعد ان مسخها مسخاً . ومن اولى مبادئ هذه الفلسفة ان الانسان يستطيع ان يعرف العلل الاولى ويتصل الى معرفتها بالاستدلال العقلي قالت وهذا خطأ فاذا اريد بالعلل الاولى الاسباب الثابتة التي تنتج عنها المسببات فذلك ممكن ولكن اذا اريد بها السبب الاول لنواميس الحوادث الطبيعية فذلك مما لا يستطيع العقل البلوغ اليه اذا كان العالم ازليًّا

ولها من المؤلفات كتاب " زرادشت وزمانه وتعاليمه " في مجلدين " والعصور التي قبل التاريخ " " والارض وسكانها الاقدمون " " وتغير الفصول الدوري " وقد ابانت في هذا الكتاب ان اشتداد الحر والبرد على الارض في بعض السنين دون غيرها متعلق باوضاع السيارات حول الشمس

فامرأة مثل هذه تفتخر بها بلادها ويفتخر بها علماؤها وقد اعربوا عن اكرامهم لها واعجابهم بمواهبها منذ عامين بوليمة فاخرة اولموها لها . وهي الآن ساكنة في نولي قرب باريس محفوفة بالاكرام والوقار